

احمد لطفي السيد

وزير المعارف المصرية كما عرفته

Ahmed Lutfy as-Sëid.

يقلم الاديب المعروف الاستاذ نجيب شامعين المحدث في صحيفة « السياسة » للمصرية
جمعني وبعض الأصدقاء. جمع عرض فيه ذكر المقال الذي حشاه صديقي عباس
محمود العقاد طمنا في رجل من خير رجالات مصر وهو احمد لطفي السيد وزير
المعارف الحالي . فقال احد الحاضرين وهو محام مصري طويل الباع في الادب
« أنا لا اعرف العقاد ولم أر له صورة وجهه ولكنني استدل من كتابته على انه
شديد الذكاء وان لم ينل قسطاً وافراً من التربية الحديثة فقد تعامل على شوقي
مثلاً وهو شاعرنا المأجور ويخيل الى غير الاديب الحق وهو يقرأ انتقاده لشوقي
ان شوقي ليس بناظم فضلا عن ان يكون شاعرا فذا متقطع النظر . ولا أذكر
انصح احدا مختارا او انه تطوع لبيان فضائل فاضل وهذا شرما يصاب به اديب .
والغريب ان يكون هذا شأن كاتب مشهود له بالذكاء والادب الكتابي
كان الادب الكتابي والادب الخلفي نقيضان فيه لا يجتمعان . والاصل واحد
والاشتقاق واحد ورحم الله القائل :

كذلك أدبت حتى صار من خلقي اني وجدت ملاك الشيمه الادب
وفي الحق ان الادب الخلفي الذي اراده الشاعر انما هو سيد الاخلاق
ولا يحسب الكاتب الاديب ادبيا ما لم يكن على خلق عظيم .
تناول صديقي العقاد استاذي احمد لطفي السيد في مقاله وثاك منه كل مثال
ولج في خصومه وكذ في عداوته ولم يترك مكانا للصالح - فكل هذا كله
متطوعا مختارا اذ لا يعقل ان مثل هذا السباب البذي يكلفه اياد احد حتى ولو
كان من حثالة خصومه السياسيين . وهكذا ترى انه اديب يتطوع للشر ويقترح
عليه الخير فلا يلبي إلا مكرها . وهذه ادنى دركة ينزل اليها الاديب . وهذا ما
يحملنا على الظن ان المقال لم يعرض على صاحب البلاغ ورئيس تحرير جده

القادر حمزة . فقد زاملنا في اواخر ايام « الجريدة » وكان الاستاذ لطفي السيد رئيسا لنا فاجل عبدالقادر يدعى اليمنى في التحرير حتى حين واحاط به برعايته وكان يلقيه ما يريد ان يقول وبقي ذلك شأنه حولا او أكثر حتى انتسب لتحرير (الاهالي) في حديث ليس هذا مجاله . فما نظن الاستاذ عبدالقادر كان يسمح بنشر ذلك المقال لو اطلع عليه وكان ممن يعرف الجبل ويذكر المعروف .

اراد الاستاذ المقاد ان يتنقص فضل رجل لو كان في مصر عشرات مثله لكانت ذات استقلال تام من تلقاء نفسها ومن غير ان يحتاج في ذلك الى السياسة ووسائلها . اراد ان يتنقص فضائله « فلم يضرها واوهى قرنم الوعل » . ولست ادري لم يفضب الاستاذ المقاد من ان يسمى احمد لطفي السيد استاذاً وكل محام استاذ وكل طبيب استاذ وكل معلم استاذ . انرا يسلم باستاذيته هؤلاء جميعا إلا استاذية احمد لطفي السيد ؟

وبالطبع ان من ينكر على رجل كونه استاذاً اخر به ان ينكر عليه كونه فيلسوفاً . ولكن هل كلف احمد لطفي السيد احدا ان يلقيه بالفيلسوف او أعز الى احد بذلك . وان كانت السياسة هي اول من اشاع هذا اللقب فهل هي التي اوعزت الى غيرها ان يحذو حذوها . لا يهولئك يا صديقي المقاد انت يلقب احمد لطفي السيد بالفيلسوف لانه اذا كان فيلسوفا فلست تقف انت عقبته في سبيل هذا اللقب وان لم يكن فيلسوفا فلن يزل هذا اللقب عنه من نفسه يوم يقوم في البلاد رجال اكثر استحقاقا لهذا اللقب منه .

ونعجب ان خلو كتب الاخلاق الذي ترجمنا من مقدمة له دليل على ذوقه السليم وانما يقدر الاشياء قدرها فاكتفى بالمقدمة الفرنسية لوفائها بالغرض وفي هذا اعظم دليل على البعد عن الدعوى الذي يلصقه المقاد .

ولست ادري لم تكون معرفة نيتشه او تواسنوي هي مقياس الفلسفة ولا يكون مقياسها معرفة ارسطو او افلاطون او سقراط او ابن رشد او الفيزيائي او ديكارت او هيغل او سبنسر . ثم ان فلسفة نيتشه ليست بمهولة كل الجبل عندنا فقد رأينا مقالات كثيرة عنها لكثير من كتابنا في كثير من مجلاتنا أفلا يجوز ان يكون احمد لطفي السيد قد اطلع على ايديها لينترك ماهية فلسفة نيتشه !!

صدقني يا صاحبي المقاد ان مقالك كالمهزل ليس فيمجد وهو من نوع الهزل الذي يسميه الانجليز wit لامن النوع الذي يسمونه Humour والفرق بينهما ان الاول يكتب بروح الانتقاد المر الصادر عن الحقد والسخيمة والمكر السوي والثاني يكتب بقلم بريء خال منها كلها فصاحبه ظريف حقا . فان شئت يا صاحبي ان تعرف من هو احمد لطفي السيد فاعلم :

انه في مقلة الذين سعوا في انشاء حزب الامة (جريدته) وهو الذي وضع برنامجه وخطب الخطب الكثيرة ودبج المقالات الجديدة في تأييد سلطة الامة ولقي الاضطهاد الكثير مع (جريدته) في سبيل فصل شخصية الامة المصرية عن الشخصيات الاخرى ورأى ذلك مقدمة لازمة للاستقلال المنشود فعارضه (المؤيد) صنيعة الحمديوي السابق وعارضه (الواء) القائل بالتعلق بالاهداب العثمانية وعارضه الصحف الاخرى القائلة بممالاة هذه الدولة الاجنبية او تلك . ولما ظهرت (الجريدة) دعانا نحن محرريها وكن فيهم الاستاذ المرحوم عبد الحميد الزهراوي شهيد الحرية فقال ان الذين ينتمون الى الدولة العثمانية منكم قد يريدون ان يعلموا خطة هذه الجريدة . فخطتها هي هذه : تناول قلما وقرطاسا ورحم دوائر غاربا بعضها عن بعض فكتب في دائرة مصر وفي الدوائر الاخرى تركية وغير تركية وقال هذه خطتنا السياسية اتنا مع اتصالنا بالبلاد الاسلامية ديننا . لا صلة سياسية لنا بها البتة .

واحد لطفي السيد في مقدمة الذين سعوا في انشاء حزب الاحرار الدستوريين وجريدة (السياسة) لسان حالهم . وهو الذي قضى ثماني سنوات يكتب المقالات الافتتاحية في (الجريدة) يانا لسلطة الامة وتعليقا على مناقشات الجمعية التشريعية ومجلس الشورى وغيرها من مقالات التشريع والاخلاق ايام كان بعض الكتلة يقضون الساعات الطوال بين بشار وابي نواس وصريع الغواني وابن الشقمق !!

ولم يشك احدا من المعتاد في وطنيته المصرية يوما . غاب عنا ايلما ونحن في (الجريدة) لمرض اعترا ولا وكان منزله في دار الجريدة فدعاني صبيحة ذات يوم اليه يسألني عن التحرير فرأيت كاسف البال فجلست فسمعت بتأولا فظننت ذلك من

شدة وطأة الداء عليهما وما ابطأ ان قال « ضاع البلد من ايدينا » !
 لكن ذلك على ما اذكر عند اعلان سياسة الوفاق في عهد السر التون غورست
 وعلى اثر مشادة سياسية لا اذكرها تملأ علم منها اهل الرأي في البلد حقيقة
 سياسة انجليزية انصرية .

اما اخلاقه فالى القارىء مثلا عليها : اقلت من (الجريدة) في السنة الاخيرة
 من سنيها طلبا لتوفير فلم يشأ احمد لطفي السيد ان يلغني خبر الاقالة فهد به
 ذلك الى المرحوم حسن باشا عبدالرازق شهيد حادث شارع المبتديان وبينما كنت
 اقرأ مسودات الجريدة في ذلك اليوم رأيت بها خبرا من اقالتي « فشطبت »
 فسأل المدير عنه فقيل له اني حذفته فدعاني اليه وشدد التكبر على بحضور المرحوم
 اسماعيل بك ذهني حسيب ان في ذلك اعتداء على حقوقه . وفي اليوم التالي جاني
 من يقول ان اسماعيل بك ذهني قال ان لطفي بك « ادالك جامد » وقد كن
 احمد ما قاله لي « هل تعتدي على حقوقي » ؟

ومضت الايام لائقته ذات يوم في ادارة المتعطف يزور المرحوم الدكتور
 صروف فسلم علي هاشا باشا ولحمت به وجهه نور الاطمشان علي في صلي . وفي
 سنة ١٩٢٢ فصلت الشام للتصنيف ولما عدت قصدت دار الكتب فاجبرني
 صديقي حافظ ابراهيم اني عينت محررا في (السياسة) براتب حسن ولكن ذلك
 اول ما دأمت عن ذلك التعيين وان لطفي بك هو الذي عبتني .

هذا شي . عن علم رجل من رجال مصر ووطنيته الصحيحة واخلاقه
 العالية . أي رجل مثل هذا تكال مقالات العظمى البذي . جزافا ؟ ارأيت يا صديقي
 المقاد ان كن معالي وزير المعارف الحالي وفديا أو عضوا به وزارة اتلافية
 هل كنت تقول فيه ماقلت في مقالك هذا ؟ لقد باننا السن التي ينتظر قرائونا منا
 فيها ان تكون اكثر تأنيا وانصافا به اصدار احكامنا على الناس واعلم ان
 مقالات الكاتب منا اكثر دلالة عليه منها على من يتاولهم فيها واصدق حكماءنا
 منها عليهم . واني ادعو الى الله ألا يكون حظي منك مقالة مثل هذه المقالات !!